أنوار الحكمة ③

العلاقة بين القيادة والأمة

من خلال رؤية نهج البلاغة

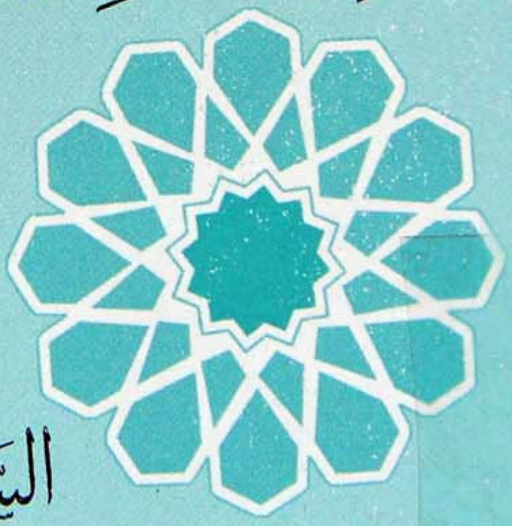

السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

www.haydarya.com

أنوار الحكمة

العلاقة بين القيادة والأمّة

من خلال رؤية نهج البلاغة

السيد محمّد باقر الحكيم

M ٦٤٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب : العلاقة بين القيادة والأمة

المؤلف : شهيد المحراب آية الله السيد محمد باقر الحكيم (قد)

الطبعة : الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

الناشر : انتشارات الإمام الحسين (ع) للطباعة والنشر والتبليغ

طُبع من هذا الكتاب ٥٠٠٠ نسخة في مطبعة بهمن - قم المقدسة

شابك : ISBN: 964-7371-65-9

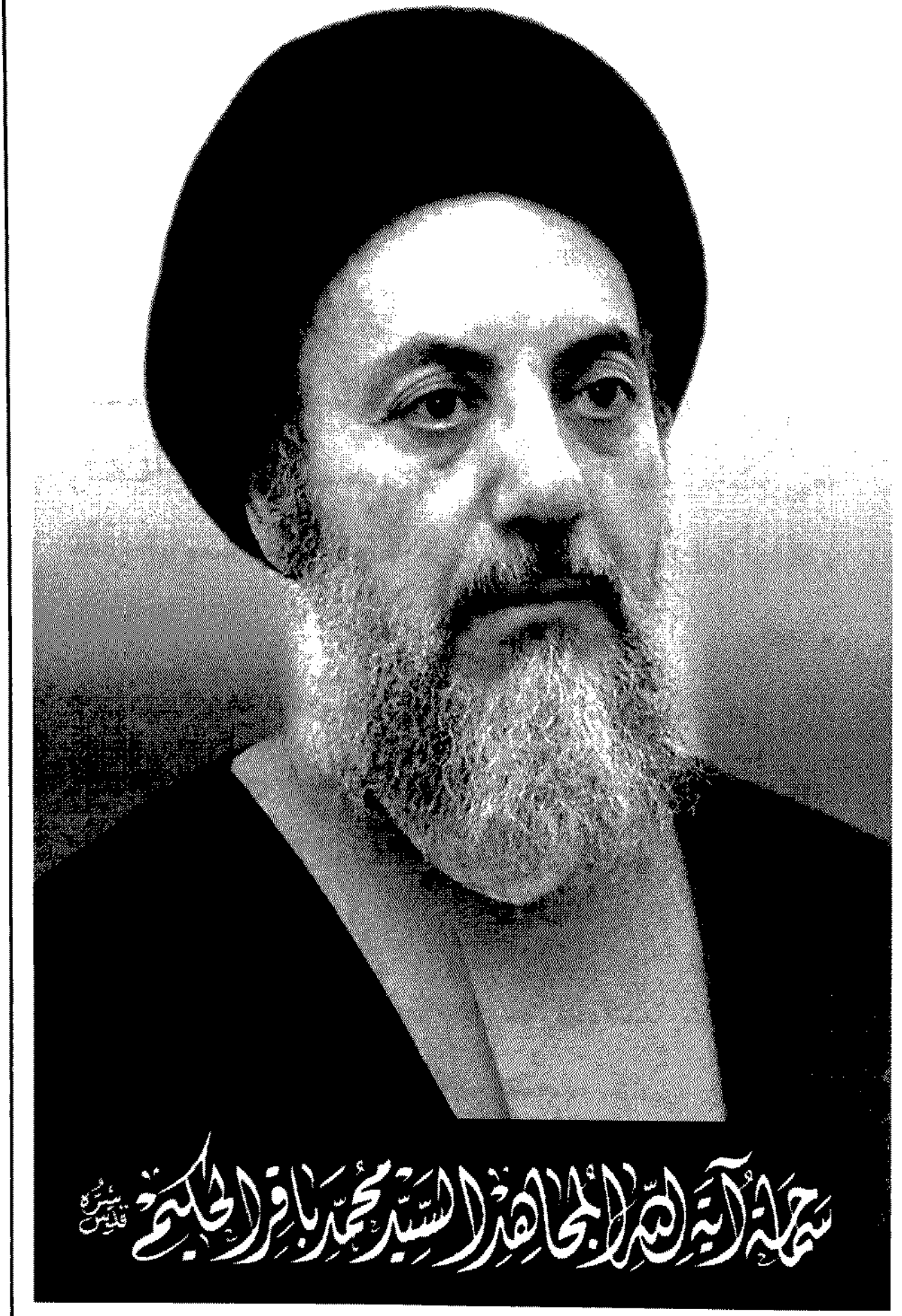
سماحة آية الله المجاهد السيد محمد باقر الحكيم قدس سره

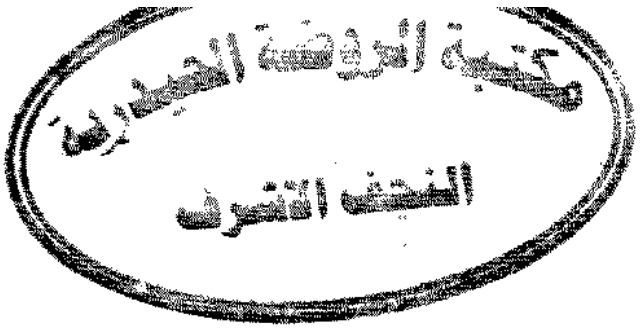

تمهيد

قد شاطر نهج البلاغة القرآن الكريم في الوعظ والإرشاد، والأحكام، وتربية الفرد والمجتمع، وهو تجسيد حي لكتاب الله وتعاليم الإسلام، ودستور لحياة أفضل ونظام أكمل، وما تحتاجه الدولة العادلة بنظرة شمولية ودقّة واعية.

وهو الكنز الثريّ الذي كلّما اقترف منه العارفون ازداد عطاءاً؛ وكلّما استنار فيه المفكّرون شعش نوره وضاءاً. فهو الجوهرة اليتيمة التي لا تخفو، والشعلة النورانية التي لا تخبو.

وقد تناول القائد المفكّر سماحة آية اللّه المجاهد السيّد محمّد باقر الحكيم دام ظلّه، وأدلى دلوه في نهج البلاغة مستخرجاً من كوامنه حلية

نلبسها ولئالئ نسجها بيراعه الشريف منتهلاً من معينه حول القيادة ومتطلّباتها، وعلاقة الأُمّة بالقائد، والقائد بالأُمّة.

والقيادة في هذه الحقبة الزمنية أصبحت محور ومدار حديث المجتمعات بعدما أرست الجمهورية الإسلامية قواعدها على الأرض وأثبتت أعمدتها وترجمت الإسلام إلى الواقع العملي.

فكشف سماحته النقاب عن مميّزات وصفات القائد الإسلامي، وما على الأُمّة الإسلامية من التزامات اتجاه قائدها.

فجاء ـ هذا الكتاب ـ من ضروريات ثقافة العصر، ومن أوليات خلفيات المسلم في معرفة الحاكم السائر على نهج القرآن، من غيره.

ونحن نقدّم هذه السلسلة الثقافية الجماهيرية (أنوار الحكمة)، سائلين الله أن نوفّق للاستفادة والاستنارة من فكر سيّدنا المفدّى دام ظلّه.

الناشر

مقدّمة :

تشكّل دراسة العلاقة بين القيادة الإسلامية والأُمّة من خلال رؤية (نهج البلاغة) تصوراً أصيلاً للعلاقة من وجهة نظر إسلامية، لأن النصوص التي جاءت في نهج البلاغة مضافاً إلى الأصالة التي تتميّز بها في أنّها نصوص منسوبة إلى أعظم شخصية علمية من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله وتلامذته كما دلّت علىٰ ذلك النصوص المتواترة التي رواها الفريقان الإماميّة وبقيّة المذاهب الإسلامية، كذلك تمتاز هذه النصوص في انّها جاءت مواكبة لحركة الأُمّة ومعالجة لقضاياها ومشاكلها لأنّ أكثرها صدر من الامام علي عليه السلام في أيّام خلافته ولمعالجة ظروفها وأحداثها، ومن هنا كان

نهج البلاغة كتاباً إسلاميّاً هامّاً يـتبع القـرآن الكـريم فـي الشكل والمضمون.

ونحن بحاجة إلى هذه الرؤية في هذا العـصر بـعد أن أخذت القيادة الإسلامية موقعها الطبيعي من الأُمّـة وهـو موقع الحكم وإدارة شؤون البلاد بعد أن كانت القيادة لمدّة طويلة من الزمن تمارس وجودها في خارج هذا الإطار.

كما ان تشخيص هذه العلاقة وتطبيقها مصداقياً فـي الواقع العملي له أهمية كبيرة وأساسية في قدرة المـجتمع الإسلامي عـلىٰ تـفجير الطـاقات الكـامنة فـيه والتـقدّم باضطراد نحو أهدافه وقوّته وتماسكه ومن ثمَّ قدرته على مواجهة أعدائه في الصراع الذي يخوضه المسـلمون ضـد قوى الاستكبار.

وقد وجدنا ان هذه العلاقة ـ في هذا العصر ـ كان لها دور كبير في قدرة الثورة الإسلامية على تحقيق الانتصار على نظام الشاه المقبور، وكذلك قدرتها على الصمود فـي مواجهة الهجمة الإستكبارية التي كانت ولا تزال تـقودها

أمريكا ضد الإسلام والدولة الإسلامية.

إذن فإنّ هذا التصوّر يعتبر في الحقيقة تصوراً لمفتاح وسرّ النجاح والتوفيق في جميع مجالات الحياة للمجتمع لأن الكيان الإسلامي يعتمد في وجوده وقوّته وتطوّره بعد شخصية القيادة ووعي الأُمّة ووحدتها على طبيعة العلاقة بين القيادة والأُمّة، فانّهما عندما يكونان في موقع واحد وفي حركة متجانسة واحدة يمكن أن يتحقّق للجميع هذا التطوّر والقوّة، بحيث إذا فقد أحدهما أو أُصيبت حالة الإنسجام أو التناسق بينهما بالخلل أو الضعف، يفقد المجتمع الإسلامي وجوده وقوّته أو قدرته على التطوّر، ولا يتحقّق ذلك إلّا من خلال تشخيص طبيعة العلاقة.

وقد أشار الإمام عليّ عليه السلام إلى أهمية هذه العلاقة بقوله: «*ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ في وجومها ويوجب بعضها بعضاً ولا يستوجب بعضها إلّا ببعض، وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعية*

وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل فجعلها نظاماً لألفتهم وعزّاً لدينهم.

فليست تصلح الرعية إلّا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلّا باستقامة الرعية، فإذا أدّت الرعيّة إلى الوالي حقّه، وأدّى الوالي إليها حقّها عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على إذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء، وإذا غلبت الرعيّة واليها، أو أجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور، وكثر الادغال في الدين، وتركت محاجّ السنن، فعُمِلَ بالهوى، وعطّلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حقّ عُطّل، ولا لعظيم باطل فعُل. فهناك تذلّ الأبرار، وتعز الأشرار، وتعظم تبعات الله سبحانه عند العباد...»[1].

ومن هنا فسوف نتناول في هذا البحث المختصر

---

١ ـ الخطبة: ٢١٦.

(القيادة) و(الأُمّة) من خلال تصوّر (العلاقة) بينهما فقط، ولا ندخل في التفاصيل الأُخرى المرتبطة بالأُمّة والقيادة.

وحتّى بعض الموضوعات التي نتناولها ممّا يرتبط بالعلاقة سوف نكتفي بتناولها من هذه الزاوية والبُعد ونترك الأبعاد الأُخرى لها إلى بحوث أُخرىٰ.

ومن هنا فإنّ دراسة هذا الموضوع يمكن أن تكون ضمن المحاور الثلاثة التالية:

الأوّل: العلاقة من خلال واجبات القيادة تجاه الأُمّة.

الثاني: العلاقة من خلال واجبات الأُمّة تجاه القيادة.

الثالث: شكل العلاقة كما يتصوّرها الإسلام.

فهنا ثلاثة فصول من البحث:

الفصل الأوّل:

العلاقة
من خلال واجبات القيادة
الإسلامية

يمكن أن نحدّد واجبات القيادة الإسلامية تجاه الأُمّة في التصوّر الإسلامي بالأُمور الرئيسية التالية:

أوّلاً: إقامة الحجّة على الأُمّة وتلاوة آيات الله عليها وإبلاغها الرسالة الإلهية والمسؤولية الملقاة على عاتقها تجاه الله تعالىٰ.

ثانياً: تزكية الأُمّة وتربيتها والإشراف على مسيرتها والعمل على جعلها متطابقة مع الشريعة وإقامة العدل والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر وتحريرها من الأغلال والقيود والعبودية لغير الله.

ثالثاً : تعليم الأُمّة الشريعة الإسلامية، وهدايتها إلى العقائد والسُنن التاريخية وبيان مواضع الاعتبار والإنذار في مسيرتها.

رابعاً : تعبئة طاقات الأُمّة وتوظيفها في الدفاع عن الاسلام والجهاد في سبيل الله عند تعرّض بلاد الإسلام إلى العدوان من قبل أعداءه.

فقد ورد في القرآن الكريم آيات عديدة توضّح هذه الواجبات في هذه الأُمور، ففي صورة الجمعة يذكر القرآن الكريم الواجبات الثلاثة الأُولىٰ:

﴿*هو الذي بعث في الأُمّيين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين*﴾[1].

وفي سورة التوبة والتحريم يذكر القرآن الواجب

---

١ ـ الجمعة : ٢.

الرابع:

﴿*يا أيّها النبيّ جاهد الكفّار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنّم وبئس المصير*﴾[1]

حيث وردت هذه الآية الكريمة في سورة التوبة في سياق الحديث عن طبيعة العلاقات بين المؤمنين في المجتمع الإسلامي وحصر هذه العلاقات كما في قوله تعالىٰ: ﴿*والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أُولئك سيرحمهم الله، ان الله عزيز حكيم* * *وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنّات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم*﴾[2]، وكذلك وردت في سورة التحريم في سياق بيان واجبات المؤمنين[3].

---

١ ـ التوبة : ٧٣ والتحريم : ٩

٢ ـ التوبة : ٧١ و ٧٢.

٣ ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربّكم أن يكفّر

ويؤكد القرآن هذه الواجبات في آيات أُخرىٰ مثل قوله تعالىٰ:

﴿ولقد صرّفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلّا كفوراً* ولو شئنا لبعثنا في كلّ قرية نذيراً* فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾[1].

وقوله تعالىٰ:

﴿الذين يتّبعون الرسول النبيّ الأمّي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيّبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل

← عنكم سيّئاتكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير﴾ (التحريم:٨).

١ ـ الفرقان: ٥٠ ـ ٥٢.

معه أولئك هم المفلحون﴾[1].

وقوله تعالىٰ:

﴿... فهل على الرُّسل إلّا البلاغ المبين* ولقد بعثنا في كُلّ أمّة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقّت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذّبين﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات الكرْيمة التي تتحدّث عن الأُمور السابقة التي ذكرناها وتتناول الأبعاد المختلفة لواجبات القيادة الإسلامية.

ومن خلال مراجعة نصوص نهج البلاغة، يمكن أن نجد هذه الواجبات والأبعاد واضحة في التصوّر الذي كان يلتزم به الإمام عليّ عليه السلام في السيرة العملية له فضلاً عن الرؤية النظرية.

لاحظ النصوص التالية:

---

١ ـ الأعراف: ١٥٧.

٢ ـ النحل: ٣٥ ـ ٣٦.

أ ـ «... فأمّا حقّكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا...»[1].

ب ـ «...وانّه لابدَّ للناس من أمير ... يجمع به الفيء ويقاتل به العدوّ وتأمن به السُبل ويؤخذ به للضعيف من القوي...»[2].

ج ـ «أمّا بعد فإنّك ممّن استظهر به على إقامة الدين وأقمع به نخوة الأثيم وأسدَّ به لهاة الثغر المخوف...»[3].

د ـ «... انّه ليس على الإمام إلّا ما حمل من أمر ربّه الإبلاغ في الموعظة، والإجتهاد في النصيحة، والاحياء للسنّة، وإقامة الحدود على مستحقيها وإصدار السُهمان على أهلها...»[4].

هـ ـ «... ولكم علينا العمل بكتاب الله وسيرة رسول

---

١ ـ الخطبة ٣٤.

٢ ـ الكلام ٤٠.

٣ ـ الكتاب ٤٦.

٤ ـ الخطبة ١٠٥.

الله ﷺ والقيام بحقّه والنعش لسنّته»[1].

أسس العلاقة في إدارة هذه الواجبات

وقد حدّدت النظرية الإسلامية الإطار العام والأُسس التي تقوم عليها العلاقة مع الرعية والأُمّة في اداء هذه الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق القيادة الإسلامية، ولم تترك الباب مفتوحاً أمام القيادة لتتصرّف بالطريقة والأُسلوب الذي تختاره في تنفيذ هذه المهمّات، وهذا الموضوع هو الذي يعنينا في البحث هنا.

ويمكن أن نلخّص هذه الأُسس التي تشكّل الإطار العام لطبيعة هذه العلاقة بالنقاط التالية، علماً بأن هذه الأُسس يمكن أن نستفيدها من القرآن الكريم ـ أيضاً ـ، مضافاً إلى ما ورد في نهج البلاغة عن الإمام عليّ عليه السلام:

---

١ ـ الخطبة ١٦٩.

١ ـ الحقوق المتبادلة :

ان هذه الواجبات في الوقت الذي تمثّل حقّاً للأُمّة على القيادة لابد من ادائه للأُمّة وتمكينها منه، تمثل ـ أيضاً ـ مسؤولية تلتزم بها الأُمّة تجاه القيادة بما يتناسب مع هذا الحق، فإنّ الحقوق متكافئة بين الوالي والرعية وبين القيادة والأُمّة.

«أمّا بعد فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقّاً بولاية أمركم ولكم عليَّ من الحق مثل الذي لي عليكم. فالحق أوسع الأشياء في التواصف وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد الا جرىٰ عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه...»[1].

٢ ـ التسامح واللّين :

ان تكون الروح التي تستند إليها العلاقة في اداء هذه

---

١ ـ الخطبة ٢١٦.

الواجبات والمسؤوليات هي روح الرأفة والرحمة والتسامح واللّين والإحسان وحسن الظنّ من قبل القيادة تجاه الأُمّة لأنّ القيادة في موقع القوّة وبيدها الإمكانات وهي تتولّى المسؤولية والإشراف وتملك الرؤية الشمولية والعامة.

كما ان هذه الروح هي الروح العامّة التي يجب أن تحكم العلاقات بين المؤمنين جميعاً فضلاً عن القيادة التي يجب أن تمثّل القدوة لهم.

فقد وصف القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحمة واللين والرأفة والشعور بالمسؤولية تجاه الأُمّة كما في قوله تعالىٰ:

﴿*فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر...*﴾[1].

وقوله تعالىٰ:

---

١ ـ آل عمران: ١٥٩.

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريصٌ عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾[1].

كما وصف القرآن الكريم العلاقة بين المؤمنين انّها علاقة رحمة وتواضع:

﴿محمّد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم...﴾[2].

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم ويحبّونه أذلّة على المؤمنين أعزّة على الكافرين...﴾[3].

وقد كتب الإمام عليّ عليه السلام في عهده لمالك الأشتر:

«... واشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللّطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنّهم صنفان: امّا أخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في

---

١ ـ التوبة: ١٢٨.

٢ ـ الفتح: ٢٩.

٣ ـ المائدة: ٥٤.

العمد والخطأ فاعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه...

ولا تقولنّ: أني مؤمّر، آمرُ فأُطاع فإن ذلك ادغال في القلب ومنهكة للدين...»[1].

وفي نصّ آخر يحدّد الإمام عليه السلام طبيعة التعامل مع (الدهاقين) وهم أُولئك القسم من الرعية الذين كانوا لا يؤمنون بالدولة الإسلامية عقائدياً ولكن يعيشون فيها من خلال العهود والمواثيق:

«أما بعد فإنّ دهاقين أهل بلدك شكوا منك غلظة وقسوة واحتقاراً وجفوة ونظرت فلم أرهم أهلاً لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم فالبس لهم جلباباً من اللّين تشوبه بطرف من الشدّة وداول لهم بين القسوة والرأفة وأمزج لهم بين التقريب والادناء والابعاد والاقصاء إن شاء الله»[2].

---

١ ـ العهد ٥٣.

٢ ـ الكتاب ١٩.

«واعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظنّ راعٍ برعيته من احسانه إليهم وتخفيفه المؤونات عليهم وترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم. فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيتك فإنّ حسن الظنّ يقطع عنك نصباً طويلاً...»[1].

٣ـ المساواة بين الناس :

المساواة في التعامل بين أفراد الأُمّة في الحق. فإنّ أبناء الأُمّة من الناس وإن كانوا يختلفون في الكثير من الخصائص والامتيازات، وهذه الخصائص والامتيازات قد يكون لها حقوق أعطاها الشارع لهذا النوع من الناس مثل التقوى والعلم والجهاد والإحسان... ومن ثمَّ فالتمييز في هذه الحقوق أمر طبيعي يقوم على أساس الحق والعدل. وهذا أمرٌ تتفق عليه جميع الشرائع الإلهية والقوانين الوضعية.

---

١ ـ العهد ٥٣.

ولكن الحديث في المساواة انّما هو في الحقوق العامّة التي يشترك فيها الناس جميعاً كحقّ الحياة والأمن والتعلّم والتعبير عن الرأي والدفاع عن النفس في القضايا المادية والمعنوية وحق ممارسة العبادات والشعائر الإسلامية وغير ذلك.

فإنّ القيادة يجب أن تقوم علاقتها بالأُمّة على أساس المساواة بين الناس في هذه الحقوق ولا يصح لها التمييز بين أفراد الأُمّة فيها فيكون للقضاء مثلاً موقف تجاه الشريف وحتى العالم والمتّقي لا يختلف عن موقفه تجاه الوضيع أو الجاهل وهكذا في جميع الحقوق الأُخرىٰ.

وقد أكّد القرآن على هذه الحقيقة كما أكّدها الإمام عليّ عليه السلام:

«أما بعد فإنّ الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحقّ سواء فإنّه ليس في الجور عوض من العدل...»[1].

---

١ ـ كتاب: ٥٩.

وفي هذا المجال يحدِّد الإمام عليّ عليه السلام الملاحظات التالية:

أبعاد المساواة بين الناس :

أ) الإنصاف من النفس في التعامل مع الرعية، وكذلك الإنصاف من جميع أُولئك الأشخاص المحسوبين على القيادة كالأهل والأصدقاء.

«... انصف الله وانصف الناس من نفسك ومن خاصّة أهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فإنّك ألا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده...»[1].

ميزان اختيار الشخصيات :

ب) أن يختار لأعماله وخاصّته الأفراد الذين يتّصفون بالتقوى والصفات الحميدة وان يكون أساس الاختيار المواصفات الموضوعية ذات العلاقة بكمال الشخصية

---

١ ـ العهد : ٥٣.

والكفاءة، لا أصحاب الصفات الذميمة حتى لو كانوا من الأقرباء في النسب أو الحسب.

«وليكن أبعد رعيتك عنك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس، فإنّ في الناس عيوباً الوالي أحقّ من شترها فلا تكشفنّ عمّا غاب عنك منها فإنّما عليك تطهير ما ظهر لك والله يحكم على ما غاب عنك...

ولا تجعلنّ إلى تصديق ساع فإن الساعي غاش وإن تشبّه بالناصحين...

ولا تدخلنّ في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل...

ولا جباناً يضعفك في الأمور...

ولا حريصاً يزيّن إليك الشره بالجور فإنّ البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظنّ بالله.

أن شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً ومن شركهم في الاثام فلا يكوننّ لك بطانة فإنّهم أعوان الأئمة واخوان الظلمة.

والصق بأهل الورع والصدق..

واكثر مدارسة العلماء ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك...»[1].

ترجيح العامّة على الخاصّة في المعاملة:

ج) تقديم جانب مصالح العامّة على جانب مصالح الخاصّة من الناس عند اتخاذ القرارات التي تهم عموم المسلمين وذلك في الموارد التي تتضارب فيها المصالح.

وهذا يعطينا ميزاناً هامّاً في طبيعة العلاقة مع الأُمّة تختلف فيه النظرية الإسلامية عن النظريات الوضعية عندما تكون مصلحة الجماعة الخاصّة من الناس إلى جانب من القرار يختلف عن الجانب الذي تكون فيه مصلحة العامّة.

وهذا التصوّر في الوقت الذي يعبّر عن الحق يعبّر ـأيضاًـ عن تقييم الإمام لموقف العامّة والخاصّة والدور الذي يمكن أن يقوم كل منهما به في الحياة الاجتماعية.

---

١ ـ العهد ٥٣.

أقرأ النصّ التالي :

«... وليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها في الحق وأعمّها في العدل وأجمعها لرضى الرعية، فإن سخط العامّة يجحف برضى الخاصّة وان سخط الخاصّة يغتفر مع رضى العامّة وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء وأقلّ معونة في البلاء وأكره للإنصاف وأسأل بالإلحاف وأقلّ شكراً عند الإعطاء وأبطأ عذراً عند المنع وأضعف صبراً عند ملمّات الدهر من أهل الخاصّة. وانّما عماد الدين وجماع المسلمين والعُدّة للأعداء العامة من الأمّة، فليكن صغوك لهم وميلك معهم...»[1].

الموقف من السنن الصالحة في الأُمّة:

د) ابقاء السنن الصالحة التي تـربّت عـليها الأُمّـة أو الأعمال والمشاريع الخيرية التي عرفتها الأُمّة وتأكـيدها والاهتمام بها حيث انّها أصبحت جزءاً مـن تـراث الأُمّـة

---

١ ـ العهد ٥٣.

تتفاعل معها مشاعرها وأحاسيسها وتشكّل قاعدة للارتباط والبناء الاجتماعي.

«... ولا تنقض سنّة صالحة عمل بها صدور هذه الأُمّة واجتمعت بها الأُلفة وصلحت عليها الرعية، ولا تُحدثنّ سنّة تضرّ بشيء من ماضي تلك السُنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها...»[1].

---

١ ـ العهد ٥٣.

الفصل الثاني:

علاقة
الأُمّة تجاه القيادة

ان القضايا الأساسية المطروحة في بُعد علاقة الأُمّـة بالقيادة الإسلامية تتمثّل بالأُمور التالية :

الأوّل : انتخاب الأُمّة للقيادة (البيعة) .

الثاني : الولاء السياسي .

الثالث : الطاعة .

الرابع : القدوة .

فان هذه القـضايا تـمثّل مـحور العـلاقة بـين الأُمـة

والقيادة. وبمقدار ما تتجسّد هذه القضايا في حياة الأُمـة وحركتها تتكامل العلاقة وتصبح ذات أثر فاعل ومؤثر في تطوّر الأُمّة وقدرة القيادة على اداء وظيفتها في الحياة.

الأول:

الانتخاب

وتبدأ هذه العلاقة بقضية الانتخاب والبيعة في ظروف القيادة غير المعصومة[1] التي تعتمد في شرعيتها ـ بعد توفّر الشروط الموضوعية فيها من العلم والعدالة العالية والخبرة السياسية والادارية والشجاعة وغير ذلك من الصفات المقرّرة في الفقه ـ على رأي الأُمة واختيارها للقيادة[2].

وهذا الانتخاب تارة يكون بشكل طبيعي وتدريجي

---

١ ـ القيادة المعصومة هي قيادة الأنبياء والأئمة الأطهار الذين نص على إمامتهم كما يعتقد بذلك الإمامية الاثنا عشرية، وتكون البيعة لهم واجبة وتعبير عن العهد والميثاق مع الله ومعهم استجابة لاختيار الله لهم.

٢ ـ شرحنا وجهات النظر المختلفة في هذا الموضوع وناقشناها فقهياً في كتابنا (الحكم الإسلامي المعاصر بين النظرية والتطبيق).

كما هو الحال في انتخاب القيادة التي تكون في نفس الوقت مرجعاً للفتيا في فترة ما قبل قيام الدولة وامتلاك الأُمّة لإرادتها واختيارها في الانتخاب. كما هو الحال في المراجع القادة الذين تولوا قيادة الأُمّة في مواجهة الطغيان والاستبداد أو الكفر والضلال. كما تحقق ذلك في زماننا هذا في انتخاب الامام الخميني قدس سره من قبل الأُمّة.. وأُخرى يتم الانتخاب عن طريق التصويت المباشر أو غير المباشر وعن طريق الخبراء الذين انتخبتهم الأُمّة.

كما هو الحال ـ أيضاً ـ في فكرة انتخاب أهل الحل والعقد الذين تمّت البيعة من خلالهم ـ كما قيل ـ في عصر الخلافة الأوّل.

ولعل أوضح صورة لذلك هي الطريقة التي تمّ بها انتخاب الامام عليّ عليه السلام في العصر الأوّل للخلافة كما يؤكّد ذلك الامام علي عليه السلام في (نهج البلاغة) فيصفها بالنصوص التالية:

«فأقبلتم إلى اقبال العوذ المطافيل على أولادها

تقولون: البيعة البيعة! قبضت كفّي فبسطتموها ونازعتكم يدي فجاذبتموها...»[1].

«انّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد وانّما الشورى للمهاجرين والأنصار فان اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً كان ذلك لله رضىً...»[2].

«فما راعني إلّا والناس كعرف الضبع اليّ ينثالون عليَّ من كل جانب حتّى وطىء الحسنان وشقّ عطفاي مجتمعين حولي كربيضة الغنم...»[3].

«... وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين بل طائعين مخيّرين...»[4].

---

١ ـ الكلام ١٣٧.

٢ ـ الكتاب ٦.

٣ ـ الخطبة ٣.

٤ ـ الكتاب ١.

المحتوى الأخلاقي والسياسي للانتخاب

وتؤكد قضية الانتخاب في علاقة الأُمّة مع القيادة عدّة قضايا كما يبدو من رؤية الامام عليّ عليه السلام:

الأولى: ان هذه العلاقة تقوم على أساس الحرية والإرادة والاختيار وليست أمراً مفروضاً على الأُمّة وانّما هي تعبير عن إرادتها.

الثانية: ان هذه العلاقة كما هي اختيار وإرادة تمثّل في الوقت نفسه مسؤولية تتحمّلها الأُمّة تجاه المجتمع وتطوّره وحركته، إذ بدون القيادة لا يمكن أن يتكامل المجتمع، ولذا فهي مسؤولة عن أصل هذا الانتخاب ومسؤولة ـ أيضاً ـ عن انتخاب الفرد (الأفضل، والأكمل) لأنّه الأحقّ بها كما يصرّح الامام (عليّ عليه السلام) في مواضع أُخرى من نهج البلاغة:

«أيّها الناس ان أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه فإن شغب شاغب استعتب فإن أبى

قوتل، ولعمري لئن كانت الامامة لا تنعقد حتى يحضرها عامّة الناس فما إلى ذلك سبيل ولكن أهلها يحكمون على من غاب عنها، ثم ليس للشاهد أن يرجع ولا للغائب أن يختار...»[1].

الثالثة : ان هذا الاختيار عقد لازم للأُمة لا يمكنها أن تتخلّى عنه بعد ذلك باختيارها وإرادتها وليس حالها في ذلك كما هو حالها في البداية، بل يلزمها تحمّل مسؤوليته المستقبلية إلّا ان يتغيّر موقف القيادة وينحرف عن جادّة الصواب والصراط المستقيم.

كما نلاحظ ذلك في النص الثاني السابق وفي نهاية النص الأخير مضافاً إلىٰ ذلك ـ أيضاً ـ ما ورد في النهج من قوله عليه السلام:

«... لأنها بيعة واحدة لا يثنىٰ فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروي فيها مدامن»[2].

---

١ ـ الخطبة ١٧٣.

٢ ـ الكتاب ٧.

وكذلك قوله عليه السلام :

«يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت عليها بأمر يعرف وإلّا فليدخل فيما خرج منه»[1].

---

١ ـ الخطبة ٨.

الثاني:

الولاء السياسي

ويترتّب على الانتخاب هذا أن تصبح القيادة بعد الله والرسالة هي محور الولاء السياسي للأُمّة ومركز الحبّ والعواطف والأحاسيس والمشاعر والاحترام والتقدير من ناحية والعهد والميثاق والالتزام من ناحية أُخرىٰ، والنصرة والمساندة والتأييد من ناحية ثالثة. وهذا بخلاف النظريات الأُخرى التي تعتبر الحزب أو النظام هو محور الولاء السياسي. أو النظريات التي ترى الفرد مستقلّاً عن الله تعالى هو المحور كما في النظريات الديكتاتورية.

الولاء بين الإسلام والنظريات الأُخرىٰ

ويمكن أن نرى الفرق في قضية (الولاء) بين النظرية السياسية الإسلامية والنظريات الأُخرى (الماركسية، الديمقراطية، الكسروية والقيصرية، الدكتاتورية) في نقطتين مهمتين:

إحداهما: ترتبط بمحور الولاء.

والأُخرىٰ: بالمشاعر والأحاسيس التي تعبّر عن هذا الولاء.

اما النقطة الأُولى فإن النظرية الماركسية ترى ان المحور للولاء في المجتمع هو الحزب والتنظيم الحزبي الذي يمثّل الطبقة الخاصّة.

واما النظرية الديمقراطية: ترى ان المحور في الولاء هو الفرد الإنساني وحرّيته الشخصية المطلقة والمنافع والمصالح الخاصة وكل الأُمور لابد أن تصب في هذا المحور، ويكون دور الحزب هو التعبير عن المنهج الذي

يعبّر عن هذا الولاء وان كان الحزب يتحوّل أحياناً فيها إلى محور الولاء للجماعة المرتبطة به في إطار الولاء العام القائم على أساس المصالح، وتقوم علاقة الولاء مع الحاكم على أساس المصالح المتبادلة بين الحاكم والفرد.

واما النظرية الكسروية: فهي ترى ان الولاء للفرد الحاكم لأنّه يمثّل المالكية المطلقة للشعب والأُمّة باعتباره الظل الإلهي في جانب المالكية والجبروت والصلاحيات المطلقة. وهي فكرة منحرفة عن النظرية الإلهية حيث يوضع الحاكم في موقع الله.

واما النظرية الديكتاتورية: ترى ان الولاء للفرد الحاكم بأنّه يمثّل أصلح الأفراد في القدرة والقوّة ومن ثمَّ فهو يتّصف بالامتيازات الخاصّة على الأُمة.

واما النظرية الإسلامية فهي ترى الولاء بالأصل لله تعالى والانسان الصالح هو محور الولاء باعتباره يمثّل الخلافة الإلهية في إقامة حكم الله، ولا يتبع الهوى في حكمه، كما انّه في مواصفاته يمثّل الصفات الإلهية بجميع

أبعادها (العدل، الرحمة، الكمال، الحق الذي ينطبق مع المصلحة الإنسانية...)، ومن هنا يشترط في الحاكم الشروط الموضوعية التي تجسّد هذه الأبعاد ويتحمّل المسؤوليات التي تعمل على تحقيقها بين الناس ﴿*يادواود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوىٰ فيضلّك عن سبيل الله...*[1]﴾

واما النقطة الثانية فان طبيعة المشاعر التي تكمن وراء هذا الولاء هو الحبّ والمودّة في الله والبغض في الله أي من أجل الحق والعدل وتحقيق التكامل الروحي والمادي للمجتمع والرحمة والرأفة وخفض الجناح والذل. هذا في النظرية الإسلامية؛ اما في النظريات الأُخرى فإن الشعور الذي يكمن وراء الولاء السياسي هو امّا الخوف والرهبة كما في الدكتاتورية، أو المصلحة المادية والمنفعة الخاصة للطبقة الخاصة (النبلاء أو العمّال أو التجّار...) كما في الماركسية أو الارستقراطية أو المصلحة الشخصية الفردية

---

١ ـ سورة ص: ٢٦.

(البراغماتية) والمكافيلية والشعور بالأنا والامتياز والمكر وصراع الإرادات كما في الديمقراطية... .

أهمية الولاء والولاية

وهذه القضية (الولاء والولاية) تعتبر من أهم القضايا المركزية في النظرية الإسلامية تجاه المجتمع الإسلامي ككل وتجاه العلاقة بين الأُمة والقيادة بشكل خاص.

﴿*والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم*﴾[1]

﴿*انّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون*﴾[2].

---

١ ـ التوبة : ٧١.

٢ ـ المائدة : ٥٥ ـ ٥٦.

وقال الإمام علي عليه السلام :

(بنا يستعطى الهدى ويستجلى العمى ان الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاة من غيره)[1].

وبسبب أهمية هذا الموضوع نجد عليّاً عليه السلام يؤكد في نهج البلاغة وفي كثير من الخطب على دوره في الحياة الإسلامية وموقعه وأهل البيت من الخلافة في الاسلام وجهاده وعلمه وعلاقته بالنبي ومدرسته وذلك من أجل أن يبني المضمون الحقيقي للولاء[2] في نفوس المسلمين ويرسّخ الحبّ والمودّة له ولنهجه في فهم الإسلام وتطبيقه، حتى أصبح هذا الأمر يمثّل تيّاراً في الأُمة الإسلامية لازال يمدّها حتى الآن بالطاقة المحرّكة، وأصبحت قضية الولاء لعليّ عليه السلام والتشيّع له ولأهل بيته هي القضية المركزية التي عاشتها الأُمّة الإسلامية والمجتمع الإسلامي عدّة قرون.

---

١ ـ الخطبة ١٤٤.

٢ ـ الذي هو الحبّ والالتزام والنصرة ـ كما ذكرنا سابقاً.

وقد تحدّث القرآن الكريم عن هذا الموضوع في عدّة آيات منها الآية السابقة من سورة المائدة التي يكاد أن يجمع كبار المفسّرين علىٰ نزولها في عليعليه السلام ومنها قوله تعالىٰ:

﴿... *قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ...*﴾[1].

كما وردت الروايات المستفيضة عن أهل البيتعليهم السلام في تأكيد هذا الموضوع على أساس انّه أهم موضوع في القضية السياسية بعد الايمان بالله وبالرسالة حتى أصبح من أركان الإسلام الخمسة بل أهمّها.

فقد روىٰ زرارة بن أعين في الصحيح:

عن أبي جعفرعليه السلام قال: (*بُني الإسلام على خمسة أشياء على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية*. قال زرارة: فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال: *الولاية أفضل، لأنها مفتاحهنّ والوالي هو الدليل عليهن..*) إلى أن

---

١ ـ الشورىٰ: ٢٣.

قال: (*أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدّق بجميع ماله وحجّ جميع دهره ولم يعرف ولاية وليّ الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته اليه ما كان له على الله جل وعز حق في ثوابه ولا كان من أهل الايمان*) ومن ثم قال: (*أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنّة بفضل رحمته*)[1].

ولاشك أن هذا العنصر له دور عظيم في قضية العلاقة بين الأُمّة والقيادة لأنّه يمثّل القاعدة الوجدانية والطاقة الحيوية المحرّكة للأُمّة باتجاه حركة القيادة التكاملية، كما يمثّل العهد والميثاق والالتزام بهذه الحركة، والنصرة والشعور بالمسؤولية تجاهها.

وقد لاحظنا تأثير هذا الولاء بشكل واضح في العلاقة بين الأُمّة والقيادة في حركة الثورة الإسلامية في ايران، كما عرفنا تأثيره من قبل في صمود هذا الخط الإسلامي الأصيل في مختلف أدوار التاريخ بالرغم من عمليات القمع والمطاردة والمحاصرة.

---

١ ـ الأصول من الكافي ٢ : ١٨.

وهذا التصوّر النظري للعلاقة يعبّر عن رؤية متميّزة في النظرية الإسلامية تختلف أساساً عن النظريات (الوضعية) التي تكون القاعدة النفسية في العلاقة فيها أحد أمرين:

الأول: الخوف والرهبة والشعور بالضعة من جانب الأُمّة والامتياز والكبر من جانب القيادة، كما هو الحال في القيادات الدكتاتورية (الفرعونية أو القيصرية أو الكسروية).

الثاني: المصالح والمنافع الذاتية المتبادلة بين القيادة والأُمّة بحيث تتحوّل العلاقة إلى ما يشبه بالعلاقات التجارية التي تحكمها الأرباح والخسائر وتقف عند هذه الأرباح والخسائر وتتأثّر بها وتنتهي الرابطة والعلاقة بانتهاء دور القيادة نفسها.

واما في النظرية الإسلامية فقضية الحبّ والمودّة في الله تعالى والعهد والميثاق والنصرة والمسؤولية هي: الأساس في العلاقة بين القيادة والأُمة، وكذلك ما تمثّله القيادة من الدور الإلهي وإحقاق الحق وإقامة العدل في

الأُمّة.

ولعل هذا هو الذي يفسّر لنا قضية الدوام واللزوم في العلاقة بين الأُمة والقيادة الاسلامية بعد الانتخاب والبيعة لأن قضية الولاء السياسي قضية أساسية، فلابد من الثبات والاستقرار فيها لتؤدي دورها بشكل كامل.

الثالث:

الطاعة

ان لزوم طاعة القيادة الإسلامية في النظرية الإسلامية في علاقة الأُمّة بالقيادة من الواجبات الواضحة التي أكّد عليها القرآن الكريم ﴿... *أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأُولي الأمر منكم..*﴾[1].

وقد ورد عن الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة انّه قال:

«*أيُّها الناس لي عليكم حقّاً ولكم عليَّ حقّ...*

وامّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين

---

١ ـ النساء: ٥٩.

آمركم...»[1].

ولزوم هذه الطاعة ليس من أجل تنظيم المجتمع وفي حدود المصالح الذاتية والعامة فحسب، بل كنتيجة طبيعية لعناصر ثلاثة في التصوّر الإسلامي عن القيادة:

أ) ان القيادة في النظرية الإسلامية تمثّل الدور الإلهي في المجتمع لأنّها هي المسؤولة عن بيان الحكم الشرعي اما عن طريق تلقي الشريعة عن الوحي الإلهي كما في القيادة المعصومة، أو استنباطه من أدلّته التفصيلة كالقرآن الكريم والسنّة والعقل وتطبيقه والاشراف على حركة المجتمع وتطوّره كما أشرنا إلى ذلك في الواجبات الأساسية التي تتحمّلها القيادة تجاه الأُمّة.

وهذه المسؤوليات تفرض ضرورة الطاعة لأنّها طاعة لله تعالىٰ في الوقت نفسه وتمكّن القيادة من القيام بدورها في تزكية المجتمع وتعليمه.

---

١ ـ الخطبة: ٣٤، وسوف نشير إلىٰ بعض النصوص الأُخرىٰ قريباً.

ب) ان القيادة تمثّل الأُمّة وتعبّر عن إرادتها لأن الأُمّة هي التي تنتخب هذه القيادة، وبذلك تصبح هـذه الطـاعة ذات بُعد اختياري وإرادي ويعبر عن حرية الإنسـان فـي اختياره الطريق التكاملي.

ج) ان الولاء السياسي في مجال الحركة انّما يتمحور حول القيادة وبدون الطـاعة لا يـصبح الولاء ذا مـضمون حقيقي حركي تغييري ويؤثر في سلوك الإنسان، بل يصبح قضية ذاتية وعاطفية، ولذا قرن القرآن الكريم في الآية ٧١ من سورة التوبة السابقة الطاعة لله ورسوله في ولاء المؤمن للمؤمن.

ومضافاً الى هذه الأبعاد الواقعية، يمكن أن نجد فـي الطاعة أبعاداً أُخرى تـرتبط بـحركة المـجتمع الإسـلامي ومصالحه.

١ ـ ان الطاعة للقيادة الواجدة للشروط المـوضوعية التي ذكرناها في القيادة الإسلامية تعني في الحقيقة الالتزام بالطريق الذي يحقّق مصالح المسلمين وينتهي بالأُمّة إلى

أهدافها التكاملية لا على مستوى الجانب الروحي وهو الايمان فحسب كما ذكرنا، بل على مستوى قضاياها الاجتماعية المصيرية وأمنها واستقرارها وعزّتها وكرامتها وتحقيق العدالة في علاقاتها الإنسانية والاقتصادية.

وهذا الأمر يتحقق انطلاقاً من النظرية الإسلامية التي ترى ان الشخص الذي يتولّى أمر المسلمين لابد أن يكون معصوماً ومكلّفاً من قبل الله تعالى بالقيام بمهمّة الامامة والخلافة، كما هو الحال في النبي والإمام المعصوم، أو يكون على درجة عالية من العلم والتقوى والخبرة السياسية والإدارية والكمال في المواصفات الشخصية مثل الشجاعة والرحمة والمشورة مع العقلاء وأهل الاختصاص وغيرها، وقد انتخبته الأُمّة واختارته لهذه المهمّة.

ومثل هذه الشروط لابد أن تنتهي بالولي إلى القرار الصحيح الذي يتكفّل مصالح الأُمّة كلّها خصوصاً إذا أضفنا عنصر الاستشارة ووجوبه لولي أمر المسلمين.

ولذلك أكّد القرآن هذا الاتجاه وهو التزام طاعة

الإنسان الصالح الكامل الذي يعمل بالحق والعدل دون اتباع الرغبات والميول الشخصية حتى لو كانت عامّة، وذلك من خلال الاشارة الى ان الحق والمصلحة ليست مع الكثرة من الناس ﴿*وان تطع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله ان يتّبعون إلّا الظن وان هم الا يخرصون*﴾[1]، ﴿*واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم...*﴾[2].

٢ ـ ان وحدة الموقف الاسلامي للأُمّة الذي يعبّر عن أحد معالم وأبعاد وحدتها الأساسية التي تتمثّل بوحدة (العقيدة، والممارسة، والموقف) انّما يتحقّق من خلال الطاعة لولي أمر المسلمين لأن موقفه هو رمز موقف الأُمّة، وطاعته تحقق وحدة موقف الأُمّة نفسها.

ولاشك ان وحدة الأُمّة في صراعها مع أعدائها يعتمد على مواقفها المتحرّكة والمتجدّدة حسب مقتضيات

---

١ ـ الأنعام: ١١٦.

٢ ـ الحجرات: ٧.

الظروف ومناورات الأعداء ومواقفهم. ووحدة هذا الموقف المتحرّك انّما يتجسّد من خلال طاعة القيادة في القضايا المستجدة.

ومن هنا ربطت قضية الطاعة في هذه المواقف بالايمان، كما في قوله تعالىٰ ﴿*فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليما*﴾[1].

٣ ـ تمثّل الطاعة ميزاناً ومقياساً في عملية الفرز الاجتماعي بين الانصار الحقيقيين الذي يستجيبون لمتطلّبات حركة المجتمع والعناصر المتخاذلة أو المضاده التي تشملهم الحركة السياسية والاجتماعية حيث جعلت الطاعة في النظرية الإسلامية مقياساً للمؤمن والمنافق. وعملية الفرز هذه مهمّة جداً في العمل السياسي وحركة المجتمع وتطوّره.

---

١ ـ النساء: ٦٥

ومن هنا نجد النظرية الإسلامية تعطي دوراً مهمّاً في قضية العلاقة وتعتبرها المجسِّد الحقيقي للعلاقة بين الأُمّة والقيادة بحيث بدون الطاعة لا يبقى محتوى لهذه العلاقة، فهي المضمون الواقعي الذي يمكن أن تعبّر من خلاله الأُمّة عملياً عن علاقتها بالقيادة.

وقد تحدّث القرآن الكريم كثيراً وفي آيات عديدة عن الطاعة والتسليم للنبي وأُولي الأمر بحيث ربطت قضية الايمان بالله وبالرسالة بقضية الطاعة في بعض الآيات وكان التمرّد ـ كما جاء في القرآن ـ سبباً رئيسياً من أسباب النفاق والمخالفة تمثّل بداية هذا النفاق.

ونشير بهذا الصدد الى بعض النصوص التي تعبّر عن هذه الأبعاد التي ذكرناها المرتبطة بالطاعة من خلال رؤية الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«واما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين

آمركم»[1].

«ألا وان لكم عندي...

أن تكونوا عندي في الحق سواء فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة والا تنكصوا عن دعوة...»[2].

«فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك...

والامانة نظاماً للأمّة والطاعة تعظيماً للإمامة»[3].

الطاعة سبيل القوّة

وإلى جانب هذه الأبعاد من فهم الطاعة من خلال محتوى العلاقة نجد ان للطاعة دوراً عظيماً في نمو حركة المجتمع وتكامله وتحقيق القوة والقدرة على المواجهة لأن أهم مشكلة تواجهها القيادة في حركتها وخصوصاً في

---

١ ـ الخطبة ٣٤، وقد سبقت الإشارة إليها.

٢ ـ الكتاب ٥٠.

٣ ـ قصار الحكم: ٢٥٢.

الصراع مع القوى المضادة لحركة المجتمع هي قضية تمرّد أو تردّد الجماعة في القيام بمسؤولياتها أو واجباتها تجاه القيادة وطاعتها، كما ان هذه المشكلة تؤدي إلى ضعف الجماعة وفقدانها لقدرتها على المواجهة، وتجعل القيادة عاجزة أو مرتبكة في تكوين الرؤية أو اتخاذ الموقف والقرار المناسب. وتنتهي من ثمَّ إلى هزيمة الجماعة والأُمّة في صراعها مع الباطل، حتى لو كانت منسجمة في موقفها مع الحق الذي لا شبهة فيه وتتعرض إلى الذلّ والهوان وضياع المصالح وسيطرة الطغاة عليها.

ولذلك نجد الامام علي عليه السلام يشدّد على هذا الموضوع في قضية الصراع مع معاوية وفي مواقع مختلفة وتصبح هذه القضية أهم مشكلة يواجهها في هذا الصراع:

«منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ولا يجيب إذا دعوت، لا أباً لكم! ما تنتظرون بنصركم ربّكم؟ اما دين يجمعكم ولا حميّة تحمشكم! أقوم فيكم مستصرخاً وأُناديكم متغوّثاً فلا تسمعون لي قولاً ولا تطيعون لي أمراً حتى

تكشف الأمور عن عواقب المساءة...»[1].

«اما والذي نفسي بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم ليس لأنهم أولى بالحق منكم، ولكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم وابطائكم عن حقي ولقد أصبحت الأمم تخاف ظلم رعاتها وأصبحت أخاف ظلم رعيتي .. إلىٰ أن يقول عليه السلام:

أيّها القوم الشاهدة أبدانهم الغائبة عنهم عقولهم المختلفة أهواءهم المبتلى بهم امراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله ان معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم..»[2].

«قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً... وأفسدتم عليَّ رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش ان ابن

---

١ ـ الخطبة ٣٩.

٢ ـ الخطبة ٩٧.

أبي طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب لله أبوهم وهل أحد منهم أشدّ لها مراساً وأقدم فيها مقاماً منّي لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها آنذا قد ذرفت على الستين! ولكن لا رأي لمن لا يطاع»[1].

«... واني والله لا أظن ان هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم، وتفرّقكم عن حقّكم وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل...»[2].

٤ ـ ان الطاعة يجب أن تكون في طاعة الله وضمن الحدود التي وضعها الشارع المقدّس للقيادة الإسلامية كما وردت الإشارة إلى ذلك في بعض النصوص السابقة ويؤكده بشكل صريح هذا النص:

«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[3].

٥ ـ ان الطاعة واجبة حتى في حالات المشورة

---

١ ـ الخطبة ٢٧.

٢ ـ الخطبة: ٢٥.

٣ ـ قصار الحكم: ١٦٥.

والنصيحة والاختلاف مع القيادة في تشخيص المصلحة، فقد قال الامام علي عليه السلام لابن عبّاس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه: «*لك أن تشير عليّ وأرى فإن عصيتك فأطعني*»[1].

---

١ ـ قصار الحكم: ٣٢١.

الرابع:

القدوة

ان القدوة تمثّل في العلاقة بين الأُمة والقيادة النور الهادي للأُمّة في مسيرتها العملية وتفتح أمام الأُمة آفاق التجسيد والتطبيق الفعلي للسلوك الإسلامي الصحيح والمفاهيم الإسلامية العالية وتمنحها القوّة والعزيمة في تحمّل المصاعب والمحن والآلام.

ومن هنا كانت مسؤولية تجسيد القيادة للقدوة الصالحة في سلوكها من جانب، وكان على الأُمّة أن تلتزم بهدي القيادة وتقتدي بها من جانب آخر.

وقد بحثنا موضوع القدوة في كرّاس مستقل وتحدّثنا عن دورها في الحياة الاجتماعية وأثرها على العلاقة بين القيادة والأُمّة.

فإن القدوة لها دور كبير في ترسيخ الولاء وبناء قاعدة الحب والمودة وايجاد الشعور المتبادل بين القيادة والأُمّة.

وقد أكّد القرآن الكريم على القدوة في عدّة مواضع، وخصوصاً الاقتداء بابراهيم عليه السلام ورسول الله محمّد صلى الله عليه وآله والأنبياء عليهم السلام عموماً. منها:

﴿أُولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً ان هو إلّا ذكرى للعالمين﴾[1].

﴿لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً﴾[2].

كما أكّد الامام علي عليه السلام ـ تبعاً للقرآن الكريم ـ على القدوة والأُسوة في مواضع كثيرة من نهج البلاغة. لنقرأ بعض النصوص السريعة:

«ألا وان لكل مأموم اماماً يقتدي به ويستضيء بنور علمه ألا وان إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه

---

١ ـ الأنعام: ٩٠.

٢ ـ الاحزاب: ٢١.

بقرصيه ألا وانّكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفّة وسداد...»[1].

«واقتدوا بهدي نبيّكم فإنّه أفضل الهدي واستنوا بسنّته فإنّها أهدى السنن...»[2].

«... ولقد كنت اتبعه (رسول الله) اتباع الفصيل إثر أُمّه يرفع لي في كلّ يوم من أخلاقه علماً ويأمرني بالاقتداء به...»[3].

«ان الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يُقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقره»[4].

---

١ ـ الكتاب : ٤٥.

٢ ـ الخطبة : ١١٠.

٣ ـ الخطبة ١٩٢.

٤ ـ الكلام : ٢٠٩

ولعل من أروع النصوص في القدوة والأُسوة ما جاء في الخطبة (١٦٠)[١].

---

١ ـ بيّن الامام عليه السلام في هذه الخطبة صفات القادة الإلهيين من الأنبياء عليهم السلام ببعض صفاتهم كنبيّنا موسى وداود وعيسى ومحمّد عليهم السلام.

نقتطف بعضاً في رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله:

«... فتأس بنبيّك الأطيب الأطهر صلى الله عليه وآله فان فيه أُسوة لمن تأسى، وعزاءً لمن تعزّى. وأحب العباد إلى الله المتأسي بنبيّه، المقتص لأثره. قضم الدنيا قضماً، ولم يعرها طرفاً. اهضم أهل الدنيا كشحاً، وأخمصهم من الدنيا بطناً، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها.... فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً...».

الفصل الثالث :

العلاقة
المباشرة بين القيادة والأُمّة.

ان قضية شكل العلاقة بين القيادة والأُمّة تمثّل بُـعداً هامّاً وأساسياً في التصور الإسلامي حيث لم يترك الاسلام شكل العلاقة بدون وضع تصوّر خـاص ومـحدّد له وهـو العلاقة المباشرة مع الأُمّة، بل يمكن أن نقول ان هذا النوع من العلاقة يمثّل جوهر العلاقة بين القيادة والأُمّة وبدون أن تتجسّد العلاقة بهذا الشكل والصورة فلا يمكن لهذا العلاقة أن تؤدي دورها الأساس ويـبقى البُـعدان السـابقان فـي العلاقات معرّضان للأزمات والاهتزاز.

فـان النـظرية الإسـلامية وإن كـانت تـؤمن بـالنظم والتشكيلات الإدارية وتؤكّد على أهمية وجود الأجـهزة التي تتحرّك من خلالها القيادة كالوزراء والعمّال والكتّاب والقضاة وقادة الجيش وغيرهم مـن الإدارات الهـامّة وان هذه الأجهزة لها دور كبير في قيام القيادة الإسلامية بدورها وواجباتها ومسؤولياتها تجاه الأُمّة.. كما انّـها فـي الوقت نفسه تمثّل نوعاً من العلاقة والصلة بـين الأُمّـة والقـيادة، ولكن كل ذلك انّما يصح مع الاحتفاظ بجوهر العلاقة وهو الصلة المباشرة والمستمرة بل اليوميةْ بين القيادة والأُمة.

وهذه النقطة من النقاط الأساسية التـي تـختلف بـها النظرية الإسلامية فـي الحكـم والقـيادة عـن النـظريات الوضعية أو ما انتهت إليه الكنيسة والحكومات الكسروية والقيصرية والامبراطورية في التاريخ.

ويمكن أن تتّضح هذه الرؤيـة للـعلاقة فـي النـظرية الإسلامية من خلال ملاحظة النقاط التالية :

ممارسة النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام

١ ـ ممارسة القيادة الاسلامية في الصدر الأوّل للاسلام للعلاقة المباشرة مع الأُمّة حيث كانت تمارس بشكل مباشر إمامة الجماعة والجمعة والقضاء والتفتيش والافتاء، والإصلاح بين الناس وتوزيع الأموال على الفقراء والضعفاء وقيادة الجيوش والقتال... وغير ذلك بشكل مباشر.

وهناك عشرات الروايات والقصص والأمثلة التاريخية على هذه الحقائق، وقد كان الامام عليّ عليه السلام يمارس ذلك حتى مع وجود الأجهزة المكلّفة بهذه الأعمال وبشكل واسع ويومي.

حاجة القيادة للعلاقة المباشرة

٢ ـ ان طبيعة الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق القيادة والتي تعبّر عن حق للأُمّة في عاتق القيادة الاسلامية تفرض هذا اللون من العلاقة، حيث لا يمكن

للقيادة أن تقوم بهذا الدور من خلال الأجهزة فحسب، بل لابد لها من ايجاد العلاقة المباشرة بالأُمّة نفسها ليمكنها أن تدرك الحقائق الاجتماعية وتقيم الأوضاع وتواكب مسيرة الأُمّة في استقامتها وانحرافها وتتّخذ القرارات الحاسمة بشأنها.

خصوصاً وان النظرية الإسلامية تتبنّى مركزية القيادة في التخطيط والسياسات العامّة والأموال والجهاد بحيث تنتهي السلطات الثلاثة الأساسية إلى الامام (السلطة التنفيذية والقضائية والتقنين لملأ منطقة الفراغ المتروكة تشريعياً لولي الأمر أو لتنفيذ الحكم الشرعي).

نعم ولكن في الوقت نفسه تتبنّى النظرية الاسلامية في الحكم اللامركزية في التنفيذ والإدارة.

وقد حاول أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يملأوا فراغ هذه العلاقة المباشرة عند تباعد الأمكنة أو وجود ظروف سياسية تمنعهم من العلاقة المباشرة.. عن طريق نصب الوكلاء في المناطق المختلفة ليقوموا بهذا الدور نيابة عنهم.

النصوص الإسلامية تؤكد العلاقة المباشرة

٣ ـ النصوص الاسلامية التي تؤكد على ذلك ونشير هنا إلى بعض النصوص التي وردت في نهج البلاغة في هذا المجال، كما في العهد الذي كتبه عليه السلام لمالك الأشتر عندما ولّاه مصر.

«واجعل لذوي الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلساً عامّاً فتتواضع فيه لله الذي خلقك وتقعد عنهم جندك وأعوانك من احراسك وشرطك حتى يكلّمك متكلّمهم غير متتعتع، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في غير موطن: (لن تقدس أُمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متتعتع) ثم احتمل الخرق منهم والعي ونح عنهم الضيق والانف يبسط الله عليك بذلك أكناف رحمته..

ثم أُمور من أُمورك لابد لك من مباشرتها:

منها إجابة عمّالك بما يعيا عنه كتّابك. ومنها اصدار

حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج به صدور أعوانك...

واما بعد فلا تطولنّ احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلّة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحق بالباطل وانّما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانّما أنت أحد رجلين: اما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك...

وان ظنّت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم باصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على

الحق...»[1].

وفي كتاب له عليه السلام إلى عامله على مكّة قثم بن العبّاس:

«أما بعد فأقم للناس الحجّ وذكّرهم بأيام الله واجلس لهم العصرين فافت المستفتي وعلّم الجاهل وذاكر العالم ولا يكن لك إلى الناس سفير إلّا لسانك ولا حاجب إلّا وجهك ولا تحجبن ذا حاجة عن لقائك بها فإنّها إن ذيدت عن أبوابك في أول وردها لم تحمد فيما بعد على قضائها...»[2].

وفي كتاب آخر إلى عامله عبدالله بن العبّاس عند استخلافه على البصرة:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك...»[3].

دور العلاقة المباشرة في المجتمع

وتتّضح ضرورة هذه العلاقة المباشرة إذا أخذنا بنظر

---

١ ـ العهد ٥٣.

٢ ـ الكتاب ٦٧.

٣ ـ الكتاب ٧٦.

الاعتبار عدّة قضايا مهمّة في العلاقة بين القيادة والأُمّة سبق وان أشرنا إليها، ولا يمكن للقيادة أن تحقّقها إلّا من خلال هذه الصلة المباشرة بينها وبين الأُمّة.

الأولىٰ : قضية التعبئة العامّة للأُمّة في الظروف الصعبة كالجهاد العام، أو إعادة البناء، أو مواجهة العدوان، فإن الأجهزة مهما كانت كفوءة لا يمكنها أن تحقّق هذه التعبئة العامة بدون هذه الصلة المباشرة إلّا عن طريق القهر وعلى أساس القمع والإرهاب خصوصاً وان عامل الاغراء المادي المحدود قد يكون معدوماً في مثل هذه الظروف كما لاحظنا ذلك في الصدر الأوّل للإسلام أيّام رسول الله وفي معارك الإمام عليّ عليه السلام.

وكما لاحظنا ذلك في ظروف الثورة الإسلامية في ايران حيث لولا الصلة المباشرة بين الامام الخميني قدس سره والشعب المسلم في ايران لما أمكن تحقيق هذا النجاح في صمود الشعب الايراني امام الهجمة الاستكبارية.

الثانية : قضية تربية الأُمة وتزكيتها وتهذيبها روحياً وأخلاقياً، فان الصلة المباشرة هي التي تمنح القيادة القدرة على التأثير من خلال الفعل العاطفي والتأثير الوجداني وتجسيد القدوة الصالحة التي ينظر إليها ويلمسها الفرد من أبناء الأُمّة عن قرب، حيث يمكن من خلال هذه الصلة أن ينمو الحبّ بين القيادة والأُمّة فيوازن هذا الحب ما تقدّمه الأُمة من تضحيات لأجل المجتمع.

الثالثة : قضية الولاء: (الحب والنصرة والالتزام السياسي للقيادة) ومواقفها، الذي ذكرنا انّه يمثّل قاعدة أساسية في علاقة الأُمّة بالقيادة، فإن هذا الولاء لا يمكن أن يتكامل إلّا من خلال هذا الاتصال المباشر بين القيادة والأُمّة.

نعم في الحالات الاستثنائية عندما يتحوّل الولاء إلى جذور دينية وعقائدية بعيدة المدى في تاريخ الإنسان وحياته فقد يكون موجوداً بدون هذا الاتصال المباشر كما هو الحال في الولاء للأنبياء والأئمة الأطهار عليهم السلام.

ولكن هـذه الحـالة لا تـتفق فـي المـعايشة الفـعلية المعاصرة لوجود القيادة والتي تكون محدودة بزمن معيّن.

خاتمة المطاف

ولاشك ان دراسة مواصفات القـيادة وخـصائصها له تأثير في فهم طبيعة العلاقة بين القيادة والأُمّة حيث يوضّح لنا الصورة بشكل أفضل، إلّا ان هذا البحث فيه تفصيل واسع تعرّضنا له في بحثنا عن الحكم الإسـلامي المـعاصر بـين النظرية والتطبيق، ولذا نكتفي في هذه العجالة بهذا القـدر أسأله تعالى التوفيق والقبول، مع الاعـتذار عـن التـقصير والقصور معاً، والحمد لله ربّ العالمين.

٨ رجب ١٤١٠ هجرية

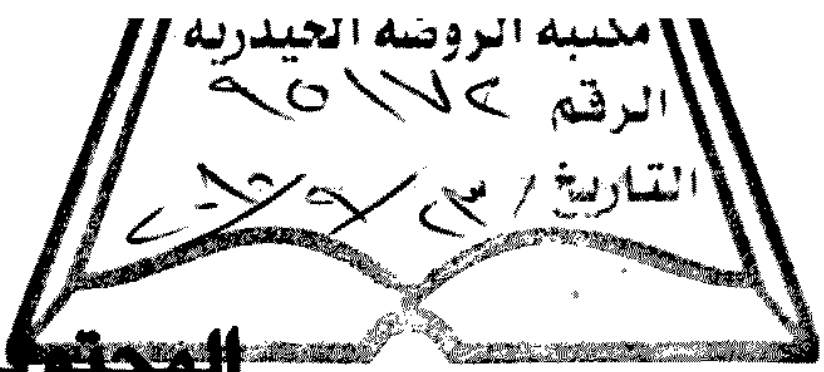

المحتويات

المقدّمة ٧
العلاقة من خلال واجبات القيادة الإسلامية ١٢
اسس العلاقة في ادارة هذه الواجبات ١٨
علاقة الأُمّة تجاه القيادة ٣٠
الانتخاب ٣٢
المحتوى الأخلاقي والسياسي للانتخاب ٣٥
الولاء السياسي ٣٨
أهمية الولاء والولاية ٤٢
الطاعة ٤٨
الطاعة سبيل القوة ٥٥
القدوة ٦٠
العلاقة المباشرة بين القيادة والأُمّة ٦٤
دور العلاقة المباشرة في المجتمع ٧٠

(من هذا الكتاب)

. . . الكيان الإسلامي يعتمد في وجوده وقوّته وتطوّره بعد شخصية القيادة ووعي الأمّة ووحدتها على طبيعة العلاقة بين القيادة والأمّة. . .

ISBN:964-7371-65-9